مجلة الريادة للبحوث والأنشطة العلمية
Al-Riyadah Journal for scientific Research and activities
العدد الأول
يونيو 2021 June

آليات التناظر اللغوي عند ابن حزم

الباحث : فرج صالح عبد الله بلل
طالب في جامعة ابن طفيل القنيطرة المغرب
البريد الالكتروني: farajlaser78@gmail.com
رقم الهاتف: 00212700140005

ملخص:

الإمام ابن حزم الأندلسي تميز بقدر كبير في أسلوب المناظرة، والتي كان يستعمل خلالها روح السخرية في والنقد اللاذع والقدح في الوصف، وساعده في ذلك مقارنته البارعة بين المذاهب، فكان يحط من قدر معارضيه، وكان يحسب له ألف حساب، حتى قال بعضهم: (لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان) مما تسبب في وجود جفاء بينه وبين معاصريه، أذكتها نار الخصومة التي كانت تشتعل بين المذاهب عادة.

ورغم أن الذين عادوا ابن حزم لانتقاده بعض الأئمة، فإن كثير من العلماء قد امتدحه، وكأنهم قبلوا منه ما اعتذر به لنفسه عندما كان يقول:" أنا اتبع الحق واجتهد، ولا أتقيد بمذهب، وقد كان يعتبر هؤلاء الأئمة بشراً مثابين فيما اجتهدوا فيه سواء أخطأوا أو أصابوا".

الكلمات المفتاحية : المناظرة، الاستفهام، الحجة ، المنطق

Abstract:

Imam Ibn Hazm Al-Andalusi distinguished himself to a great extent in the style of debate, during which he used the spirit of irony in, sharp criticism, and slander in describing, and his skillful comparison between the sects helped him in that. Which caused a estrangement between him and his contemporaries, which was stoked by the fire of rivalry that was usually burning between the sects.

those who departed from Ibn Hazm in his criticism of some of the Although ed him as if they had accepted from him what he apologized imams, many scholars prais to himself when he used to say: I follow the truth and strive hard, and I do not adhere to a doctrine, and he used to regard these imams as rewarding human beings in what they ether they made a mistake. Or they were injuredwere striving for, wh

Key words: debate, interrogation, argument, logic

© Copyright for the journal حقوق الطبع محفوظة للمجلة

المقدمة:

إن المناظرات عند الإمام أبي محمد علي ابن حزم الأندلسي الظاهري "ت 456 هـ" تلجأ دائما إلى وضع بعض الافتراضات الاستباقية، على سبيل افتتاح الكلام يقول:

وأما نحن فطريقنا في ذلك تخيير الخصم أن يكون سائلا أو مسؤولا، فأيهما تخير أجبناه إليه فإن رد الخيار إلينا اخترنا أن يكون هو السائل لأنهم يضعفون إذا سئلوا، ليكون ذلك أبلغ في قطع معالقهم" وإذا أجاب ولم يعترض عليه خصمه، كان ذلك إقراراً وتصديقاً للجواب أو عجزاً عن المعارضة، وينتهي عندئذ السؤال ولهما أن يبدآ سؤالاً جديداً إذا أرادا، أو ينتهي الحجاج وتحصل المغالبة.

يفترض ابن حزم حجاج تناظري، ثم يقوم بالرد عليه إمعانا في تحدي الخصم، وإغلاقا لكل المنافذ المؤدية إلى صحة دعواه ويمكن التمييز بين نقل ابن حزم لأقوال خصومه، وبين ما يفترضه إقحاما لهم من خلال العبارات المنقولة بينهما، مثل: قالوا، وقد لفق بعضهم، وقال بعضهم، وهي صيغ تحمل معنى التقرير والجزم.

أما الصيغ التي يفترضها ابن حزم لنفسه، فيسبقها بصيغ تحمل معنى الاحتمالية مثل: فإن قالوا، فإن قال قائل، فإن اعترض معترض، ولعل معترضاً يعترض، وابن حزم يستخرج هذه الافتراضات لأغراض جدلية حجاجية ليقطع الطريق على المجادل، من خلال كل قول يحتمل أن يستدل به الخصم، ودائما يحاول الحفاظ على انسجام أرائه، من خلال طلبه الحقيقة.

. أهداف الدراسة والمنهج المتبع :

تهدف دراستنا هذه إلى التعريف بالأدوات اللغوية التي يستخدمها ابن حزم في مناظراته مع خصومه من المذاهب الأخرى، والتي يستعمل فيها الأدوات اللغوية المختلفة، من نفي وإثبات واستفهام إنكاري وتقريري وإنشائي وطلبي أو أمري، وغيرها من الأدوات اللغوية التي سوف ندرسها مع أدوات التوكيد المختلفة التي يربطها بكلامه.

هناك دراسات كثيرة سبقتنا في دراسة مناظرات ابن حزم، ولكنها دراسات تبحث في المناظرات من الجانب الفقهي، أما دراستنا فهي من الجانب اللغوي والحجاجي، وفي الحقيقة ليست هناك بحوث كثيرة حول هذا الجانب، ولكن هناك بعض الدراسات مثل: كتاب مصطفى العطار (لغة التخاطب

الحجاجي)، وتوفيق أبريز (منهج الجدل الديني لدى الحافظ ابن حزم)، وهناك بعض الكتب التي درست مناظرات ابن حزم ولكنها ليست في هذا الموضوع كما ذكرنا.

المبحث الأول: وحدة المعنى وإن اختلفت الألفاظ:

المطلب الأول: مفهوم الآليات اللغوية في المناظرة:

قرر ابن حزم اتفاق الأمم البشرية على وحدة المعاني وإن اختلفت الألفاظ بحسب اللغات، وقد يوهم هذا أنه لا التفات إلى هذه الألفاظ المختلفة وإنما العبرة بالمعاني، لكن المنطق اللغوي لابن حزم هو تحرير وقوع المسميات تحت الأسماء يدل على اعتنائه بالعبارة كاعتنائه بالمعنى، وأن اختصاص كل أمة بلسان، يوجب مراعاة أساليب هذه الأمة في التعبير عن المعاني والألفاظ عند التخاطب التناظري.

ويعني هذا أنه رغم اتفاق الأمم على المعاني، من حيث الوجودي الذهني والخارجي، "فلكل أمة أسماؤها التي توافقت عليها من حيث الوضع والاستعمال، وما مراتب البيان الأربعة التي ابتدأ بها كتابه، إلا دليل على مراعاته خصوصية الألسن، لتحقيق المراد من البيان، أن يستقر في نفس المخاطب مثل ما قد استقر في نفس المتكلم".[1]

هذا الاعتناء بجانب العبارة وفق أساليب العرب– دون تكلف– بحيث تجمع بين بلاغة المعاني وفصاحة الألفاظ، يواجهه علم منقول عن لسان أعجمي مختلف تماما عن اللسان العربي، ترجمه المترجمون الأوائل إما عن اليونانية أو السريانية، ومعلوم ما للترجمة من تأثير في المعنى لابد منه، وكلما تعددت اللغات الوسيطة ضعفت المعاني المنقولة، كل هذا يبين أن أي محاولة لتقريب هذا المنقول تقريبا صحيحا، سيكون للغة فيها أهمية بالغة.

وبما أن غرض التعبير هو الإفهام وليس كل فهم تصلح له كل عبارة، فإن ابن حزم سينوع من العبارات العربية المألوفة بما يزيل قلق العبارة المنقولة، ويقرب إلى الذهن ونفس لغة السامع معاني هذا العلم غير المعروفة، يقول في شرح آليته اللغوية:" فليعلم أننا إنما ننظر إلى المعاني بألفاظ متفق عليها لتكون قاضية على ما يغمض فهمه مما ليس من نوعها، فهنا يلوح لك فضل كلامنا في المتلائمات، وترتاح لفهمه جدا".[2] يتحدث هنا عن نوع من أنواع التقريب اللغوي الذي استعمله، وهي "القضايا المتلائمات" التي تختلف عباراتها غير أن معانيها متناسبة، و

وجهاتها بحسب تفاوت الإفهام هذا التنويع اللغوي هدفه حسن استعمال الوسيلة اللغوية المتاحة لتحقيق بعض خصائص مجال التداول الإسلامي العربي. يقول الدكتور طه عبد الرحمن:" ومن كانت تشغله مسألة الاستعمال أو أقل، مسألة إفادة الغير مثلما تشغل ابن حزم، فلا محالة أن تجيء لغة كتابه متبعة طرق الاصطلاح وأساليب التعبير ومسالك الإيجاز على مقتضى اللغة العربية من نحو وبلاغة، فألفاظ ابن حزم دقيقة معانيها، وتراكيبه متناسقة أطرافها، وأساليبه بليغة تأثيراتها، ولم تختلف طريقة تعبيره في المنطق عن طريقته في كتبه الكلامية والفقهية."[3] يشير الدكتور طه إلى صفتين في الآلية اللغوية التي استعملها ابن حزم: وهي التنويع اللغوي ومرده إلى الإتقان أو الاتساق اللغوي، وقصد الإفهام أو التبليغ ومرجعه إلى النفع المتعدي.

أما مصداق هذا فسنتحدث عنه في المطالب التالية، وأما تحديد مفهوم آلية التقريب اللغوي بحسب ما ذكر، فينبغي أن نعلم أن نقل المنطق كان مفتقرا إلى الإتقان رغم بعض المحاولات لإصلاح هذا الخلل، يقول أبو نصر الفارابي:" فإن أرسطوطاليس لما أثبت تلك الأشياء في كتبه، جعل العبارة عنها بالألفاظ المعتادة عند أهل لسانه، فاستعمل أمثلة كانت مشهورة متداولة عند أهل زمانه، فلما كانت عادة أهل هذا اللسان في العبارة غير عادة أهل تلك البلدان، وأمثلة أهل هذا الزمان المشهورة غير الأمثلة المشهورة عند أولئك، صارت الأشياء التي قصد أرسطوطاليس بيانها بتلك الأمثلة غير بينة ولا مفهومة عند أهل زماننا، حتى ظن أناس كثير من أهل هذا الزمان بكتبه في المنطق أنها لا جدوى لها وكادت تطرح، ولما قصدنا نحن إلى إيضاح تلك القوانين استعملنا في بيانها الأمثلة المتداولة بين النظار من أهل زماننا".[4]

يرجع بنا الحديث أيضا حول الخلل اللغوي في نقل المنطق، إلى المناظرة القديمة التي سجلها أبو حيان التوحيدي في كتابه" الإمتاع والمؤانسة" بين أبي سعيد السيرافي ومتى ابن يونس الترجمان، وملخصها " أن متى حاج خصمه بدعوى شمولية المنطق واستقلاليته عن خصوصية الألسن ودقائق اللغات، فبين له أبو سعيد فساد هذه الدعوى بأن سأله أسئلة لغوية لم يجب عنها متى مع أنها مؤثرة في المعنى بما لا خلاف فيه، ثم قرر أبو سعيد أن المناطقة ترجموا لغة هم فيها ضعفاء ناقصون، بترجمة أخرى هم فيها ضعفاء ناقصون، وجعلوا تلك الترجمة صناعة"[5]. وكذلك فقد يظن الظان أن قصد الإفهام غرض كل متكلم كلاما مفيدا وليس كذلك، يوضح ابن حزم الفرق

بقوله:" وكان السبب الذي حدا من السلف إلى إغماض الألفاظ وتوعيرها وتخشين المسلك نحوها، والشح منهم بالعلم والضن به، وقد يقع لنا أن طلاب العلم- يومئذ- والراغبين فيه- كانوا كثيراً ذوي حرص قوي، فأما الآن وقد زهد الناس فيه... فإن الحظ لمن آثر العلم وعرف فضله، أن يسهله جهده، ويقربه بقدر طاقته، ويخففه ما أمكنه"[6]. وذلك ما سيحاوله ابن حزم من خلال شرح المستغلق منه بمستوياته.

ويتحدث الدكتور سالم يفوت عن ذلك فيقول:" تتمثل هذه المستويات في شرح المستغلق في محاولة تعريب النص، بل المفاهيم أيضا ورؤيتها انطلاقا من بنية لغة المخاطب والمخاطبين، في فهم الأصل على حقيقته، لا على ما يريده الخاسرون، أي بالرجوع إلى " من عليه المعتمد في هذا العلم، وهو أرسطوطاليس" واعتماد اللغة الطبيعة التي هي المرجع، في استعمال جهاز المفاهيم النحوية العربية".[7]

إن مفهوم التقريب اللغوي عند ابن حزم إنما هو تنويع لغوي يتيحه لسان مجال التداول التناظري، وذلك بما يتناسب مع إفهام المتلقين، بقصد تقريب المعنى المشكل إلى الأذهان حتى تقبله العقول، وتستخفه الألسن وتطمئن إليه النفوس، بلا تكلف من المخاطب، ولا حرج على المخاطب. هذا وسيزيد في توضيح مفهوم التقريب اللغوي، وأدواته المطلب التالي:

-المطلب الثاني: أدوات التقريب اللغوي عند المتناظرين:

حسب ترتيب ابن حزم على النحو التالي:

1-الاستعانة بحروف الربط: الاستفهامية:

يسميها ابن حزم حروف "الربط"، وهي الحروف التي جاءت لمعنى، والغرض منها في التركيب اللغوي هو الاستفهام بين مكونات الجملة، ويشير ابن حزم إلى منفعتها في قوله:" ومنفعة هذه الحروف في البيان عظيمة فينبغي تثقيف معانيها في اللغة، إذ لا يتم البيان إلا بها، وتنوب عن تطويل كثير".[8]

2-اختيار الأسلوب الأبين المشهور:

وذلك "إذا تعددت العبارات عن معنى معين، فإن الأولى أن تستعمل العبارة الأبين في اللغة، مثلا في أسوار النفي الكلي لا واحد، لا شيء، لا أحد.....، كل ذلك سواء قل كيف شئت،

والأولى أن تقول الذي هو أبين في اللغة التي عبارتك بها، وهكذا حكم كل ما نفيت."[9] وهذه طريقة ابن حزم حتى في مصطلحاته الخاصة، فإنه دائما يختار الأبين المشهور، ويبتعد عن تعقيد اللفظ بما لا يناسب غرض الإفهام.[10]

3-العناية بالمعنى وإن اختلفت الألفاظ:

"لا تتعارض مراعاة المعنى مع تنوع اللفظ في لسان العرب مادام أن تمت العلاقة بين اللفظ والمعنى المراد"[11]، وقد أوضح ذلك ابن حزم عند كلامه عن النفي وألفاظه فقال:" وقد قدمنا أن المعنى إذا انحصر إلى شيئين فنفيت أحدهما فقد أوجبت الأخر ضرورة- فاحفظ هذا- وإذا نفيتهما معا فلم توجب شيئا أصيلا، وإذا نفيت النفي فقد أوجبت ضرورة، وإذا أوجبت النفي فقد نفيت بلا شك، فثقف هذا كله يثلج يقينك بصحة علمك."[12]

4-التنبيه على مداخل السفسطة من جهة اللغة:

لا شك أن اللغة العربية لها مميزات كثيرة عن غيرها من اللغات، وإن كانت كل اللغات قوالب للمعاني. ولهذا فإن تميز العربية لن يفوت ابن حزم في باب من أبواب المنطق، ولا سيما باب السفسطة، حيث نبه على مواضع يدخل منها التمويه، فوجب التحفظ منها، من تلك المواضع اشتباه الخط من حيث النقط.

يقول:" وكذلك ينبغي لك أيضا أن تتحفظ من اشتباه الخط، ولا سيما في الخط العربي، فإن ذلك فيه نقاش، لأن أكثر حروفه لا يفرق بينها في الصور إلا بالنقط، كزيد، وزبد، ورثد، ورند، وربد، وما أشبه ذلك".[13]

وكذلك نبه على مسألة العطوف، وكون الواو مثلا قد ترد للعطف، كما ترد للاستئناف، وأنه قد يدخل بسبب الخلط بين استعمالاتها فساد على المعنى وتمويه،" ومن ذلك أشياء تقع في العطوف محيرة، كنحو ما غلط فيه جماعة من العلماء في قول الله عز وجل:" وما يعلم تأويله إلا الله و(الراسخون في العلم) يقولون ءامنا به كل من عند ربنا" أل عمران:7. فظنوا أن (الراسخون) في العلم معطوفون على الله عز وجل، وليس كذلك، وإنما هو ابتداء كلام وقضية، وعطف جملة على جملة...."[14]

المبحث الثاني :الاستفهام في اللغة عند العرب

ذكر سيبويه (ت 180 هـ) " أنه سمع رجلا من أهل البادية وقيل له: أتخرج إن أخصبت البادية؟ فقال: أنا إنيه، وإنما أنكر أن يكون رأيه على خلاف الخروج، وكل ما ذكرت، إما أن تنكر على المخبر أن يثبت".[15]

والاستفهام الإنكاري معناه النفي، والمقصود منه هو الإنكار على المخاطب فعل أمر قام به في الماضي أو يمكن أن يحدث في المستقبل والمثال عليه ما جاء في قول تعالى" أرأيتك هذا الذي كرمت على" سورة الإسراء:62.

وقد يأتي على عدة أوجه منها في قوله تعالى:" ومن يغفر الذنوب إلا الله" سورة آل عمران آية: 135، وهنا يأتي استفهام على هيئة سؤال، وفائدة السؤال التذكير للمخاطب لحالته التي يستفهم لأجلها"[16].

- أسلوب الاستفهام:

أسلوب الاستفهام من الأساليب البيانية العظيمة التي عني بها القرآن عناية كبيرة، لكونه وسيلة مهمة في إيصال الأفكار والأهداف، وتثبيت المفاهيم والاتجاهات، فهو أسلوب تربوي ناجح في زرع الفكرة أو المعلومة لدى المخاطب، بأسلوب لائق لا تعقيد فيه، لأنه أوقع في النفس، وأدل على اللازم، وهو الحقيقة الأخبار عن الشيء الذي لا علم لنا به، ومن أبرز هذه الأغراض.

التقرير: "ومعناه حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ومثاله ما جاء في قوله تعالى:" سل بني إسرائيل" البقرة آية: 211. وهنا كذلك فائدة السؤال التذكير عن ما حصل لهم بني إسرائيل عندما عاندوا وكابروا مثل أصحاب السبت".[17]

يقول ابن الحاجب في آماليه (ت 646هـ):" إذا دخل الاستفهام الإنكاري على الشرط كان المعنى إنكار أن يكون الجواب معلقا عليه مثل إذا قلت ما ضربته للتأديب".[18]

-المطلب الأول: الاحتجاج بالتراكيب الاستفهامية في المناظرات.

تبين هنا الاستفهام الحجاجي، غير الحقيقي الذي لا يفيد الاستعلام والذي يخرج إلى معاني تستفاد من سياق الكلام، حيث يتم العدول فيه عن الخبر (الإثبات والنفي) إلى الإنشاء (الاستفهام).

ولكن الاستفهام "طلب ما في الخارج أو تحصيله في الذهن، ألزم ألا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاك غير مصدق بإمكان الإعلام، فإن الشاك إذا استفهم لزم تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الاستعلام انتفت فائدة الاستفهام"[19].

تعتبر طريقة استخدام التراكيب الاستفهامية عند ابن حزم، رغم علمه بثبوت مطلوبه، هو إلزام بالجواب، ومحاولة ذكية لصناعة الحجة وإثباتها على مخاطبه حتى يسلم بها، وهو ما سنعكف على تتبعه في الاحتجاج، وهذا الاستفهام بمثابة سؤال حجاجي لا يطلب جواباً من الخصم، بل يجيب على نفسه بنفسه، بما يمليه مقتضى الكلام الناشئ عن تلك المناظرة، تنتج عنها أجوبة تستلزم ردا مقنعا للخصم، إلا أن هذه الأسئلة تتخذ أبعادا ومقاصد تختلف باختلاف بنيتها الداخلية ومسافاتها التناظرية المضمرة.

-أولا: الاستفهام في المناظرة بين "النفي والإثبات":

"هو ضربان: أحدهما نفي وإثبات فالوارد للنفي يسمى استفهام إنكار، والوارد للإثبات يسمى استفهام تقرير، لأنه يطلب بالأول إنكار المخاطب، وبالثاني إقراره به"[20].

وبهذا نجد ابن حزم مستفهما حقيقيا، لاعتقاده الراسخ بأن الجواب ملكه فقط، لذلك نجده منكرا نافيا أطروحة خصمه داحرا إياه في الشك بنفسه.

-ثانيا: الاستفهام الإنكاري:

وهو الذي يكون المعنى فيه على أن ما بعد الأداة منفي، ولذلك يصحبه "إلا" كقوله تعالى: "فهل يهلك إلا القوم الفاسقون".[21] ويكون إنكار الأمر المستفهم عنده شرعا أو عرفا أو قانونا، ومن أمثلته في متن الرسالة قوله:" فأي فرق بين هذه الدعوى لو نصحوا أنفسهم"[22].

وذلك في سياق رد ابن حزم على من يحتج بأنه لا يلزمه الخروج على ما قيده الشيوخ الثقات عنهم، فيعتبر دعواهم تشاركهم فيها كل فرقة من مذاهب الإسلام من شافعية وحنفية وحنبلية، فكل لهم ثقات على الجملة، لذلك فقد عدل ابن حزم عن الاستفهام إلى الخبر، وكأنه بلسان حاله يقول:" لا فرق بين دعوى خصومه من المالكية ودعاوى فرق الإسلام الأخرى، فكيف يرد على الشرعي من هذه صفته".[23] وذلك في سياق جوابه عمن يسميه بأنه يرد على الشرعي بالمنطق، حيث يأتي كلام ابن حزم في معرض النفي والإنكار، معتبراً ذلك مجرد كذب ووهم

ومكابرة، وهو ما يكشف عنه قوله:" ونحن الداعون إلى الشرع، لأنه إنما يدعو الناس إلى كتاب الله تعالى :"الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" سورة فصلت آية:42.

والاستفهام الإنكاري يأتي في اللغة مثل قولك:" ألا ترى إلى كذا؟ ألا تراه يقول كذا؟ وهي من الكثرة بمكان، في منهج التعليل الفقهي للأحكام"[24] وهو سمة بارزة في كتب ابن حزم، فيعتمد في الاستدلال والاحتجاج والرد على المخالف وإقناعه، إلى تعليل وتسويغ الحكم وتدعيم الاستدلال بكل ما يمكنه من حجة.

وتلحق العرب بأخر الكلمة في الاستفهام إذا أنكرت أن يكون رأي المتكلم على ما ذكر، أو يكون على خلاف ما ذكر،" فإذا قال رجل: رأيت زيدا، قلت: أزيد نيه؟ لأن النون هي التنوين الساكنين فحركتهما بالكسر لئلا يلتقي ساكنان، فإن قال: رأيت عثمان، قلت: أعثماناه؟ كما قيل في الندبة (واعمراه) أو (واغلامهوه)".[25]

-استعمال الاستفهام الإنكاري سبب لغلبة ابن حزم على الخصم:

"ولقد دخلت كيف على الفعل المضارع لتمنعه معاني الاستمرار على الحال دون الثبات على استجابة، لمقصد حجاجي يفيد التجدد وعدم الانحصار في الزمان والنفي ينجر عنه فعلان لغويان اثنان".[26] وفعل الجحد وفعل التعريض، فالأول ينكر به ابن حزم أطروحة خصمه فكيف يحل؟ والثاني يبطل به الأطروحة ويعارضها بقوله " هذا مالا يعتقده إلا الروافض الملعونون ونعوذ بالله من الخذلان"[27].

وقوله:" ما الفرق بين تأويلكم العاري من القرآن والسنة، وبين تأويل غيركم من الحنفيين والشافعيين، إذا عرى أيضا من تصحيح الكتاب والسنة"[28].

أي: لا فرق بين تأويلكم وتأويهم، فكلاهما عار من تصحيح الكتاب والسنة، وهو ما يمثل فعل الجحد، فيما يمثل أسلوب حصر النفي، و الاستفهام فعل التعريض في قوله:" وهذا مالا سبيل إلى فرق بينها، ولا يتبع شيئا مما هذه صفته، بعد قيام الحجة ووصول البيان إليه إلا محروم التوفيق محروم البصيرة"[29].

ومن هنا، يضع ابن حزم الخصم في حيرة وشك في دعوته، وينزع عنها مصداقيتها، ويعطل قول الخصم، ويسمح للاستفهام الإنكاري أن يطرح رأيا بديلا، وبهذا يفتت الخصم و

يخرصه، ويجعله يقر بهزيمته وحماقة قوله، والانصراف عن معتقده، وبذلك يكون ابن حزم قد نال مراده ويعلن بغلبة رأيه وما يعتقده، ويفند رأي من يخالفه ويقصيه ويشهر به، ويشهد الناس على بطلان رأي من يخالفه.

-إنكار المعنى إذا دخل الاستفهام الإنكاري:

يقول ابن الحاجب:" إذا دخل الاستفهام الإنكاري على الشرط كان المعنى إنكار أن يكون الجواب معلقا عليه، فإذا قلت أإن أكرمتك أهنتني؟ كان المعنى إنكار أن تكون الإهانة مسببة عن الإكرام، والأكثر إدخال الهمزة الإنكارية على ما هو معنى الجواب مقدما على الشرط ثم ذكر الشرط بعده، مثل: أتهينني إن أكرمتك؟ وإذا كان الإنكار باعتبار الشرط مستقبلاً كان الفعل المقدم مضارعاً، وإن كان باعتبار شرط ما في المعنى كان الفعل المقدم ماضياً إن قصدت التوبيخ، ومضارعاً إن قصدت النهي، فتقول: أضربت زيدا لما أكرمك؟ توبيخا له على الضرب المسبب عن الإكرام، وتقول: أتضرب زيدا لما أكرمك؟ نهياً له عن أن يفعل الضرب وذلك بعد إكرامه، ومنه قوله تعالى:" أتقولون للحق لما جاءكم" سورة يونس آية: 77، والمعنى: أتقولون للحق لما جاءكم إنه سحر أو شعر، على ما دل عليه قرائن أحوالهم بما كانوا يقولون، والمعنى، نهيهم عن أن يقولوا هذا القول".[30]

والاستفهام الإنكاري أبلغ من النفي والنهي وألطف موقعا، كما ترى غيرك يفعل فعلا قبيحا فتقول:" لا يفعل هذا عاقل من يخاف الله، وهو قوله تعالى:" أيود أحدكم" سورة البقرة آية:266، بلفظ واحد لتضمنه معنى الإنكار العام، وهي في قوله:" أيود" أبلغ في الإنكار من لو قيل "أيريد" ويكمل الله في السورة " أن تكون له جنة من نخيل وأعناب" خص هذين النوعين بالذكر من الأنواع الأخرى من الثمار لأنهما أشرف أنواع الثمار وأكثرها نفعا، فإن فيهما القوة والغذاء والدواء والشراب والفاكهة والحلو والحامض، ويؤكلان رطبا ويابسا، ومنافعهما كثيرة جدا.[31]

-المطلب الثاني: بلاغة الاستفهام والنهي المستلزم حواريا:

يبدأ ابن حزم كلامه فيقول:" فلم أجزتم الفعل المخالف للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمره وفعله وأنكرتم علينا فعلا فعله جماعة من الصحابة ولم يصح النهي عن أحد منهم، ولا نهى عنه قط رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فهل هذا إلا أحموقة منهم وجهل وغباوة؟"[32].

والمعنى الحادث عن الدلالة الجزئية للاستفهام لا تجيز الفعل المخالف للنبي صلى الله عليه وسلم، ولا تنكر علينا ما فعله الصحابة، إلا أن الدلالة الطارئة تتخطى الاستفهام إلى النهي بصيغة التحكم، وليس بدعا أن تجتمع هذه الدلالات في أسلوب واحد، فهذا من بلاغة الاستفهام المستلزم حواريا.

فقوله لفقهاء المالكية :" فمن أين أجزتم تنكيس الوضوء بدون ترتيب ولم يأت قط عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحد من الصحابة والتابعين أن نكس وضوءه؟"[33] والمعنى الإضافي لهذا الاستفهام خرج إلى دلالة النهي بما هو استدعاء القول بالترك، أي: لا تجيزوا تنكيس الوضوء ما دام لم يرد في ذلك نص، والخطاب موجه إلى أولئك الذين لم يعتبروا الترتيب في الوضوء أن إفادة الواو الجمع وليس الترتيب، العجب كله أن المالكية أجازوا تنكيس الوضوء الذي لم يأت نص من الله تعالى، ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم فيه، ثم أتو إلى ما أجاز الله تعالى فيه فمنعوا من ذلك، وهو الرمي والحلق والنحر والذبح والطواف فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أجاز تقديم بعض ذلك على بعض"[34].

هذه أهم الحالات التي امتنع فيها إجراء الاستفهام على أصله، فخرج إلى دلالة الإنشاء الطلبي "الأمر والنهي" أو الإنشاء غير الطلبي "التهكم والاستهزاء".

والاستفهام الإنكاري المستلزم حواريا بين المخاطب والمخاطب بمعنى حرف النفي من أين في كلام ابن حزم،" فهو بمعنى النفي تقدم حرف النفي على النكرة يجعلها عامة، وعموم النكرة عند التحقيق هو المسوغ الابتداء بها، إذا الممنوع إنما هو الحكم على الفرد، فكأن السؤال في الحقيقة عن الأفراد، فأشبه العموم، فالمسوغ إما العموم الحقيقي وإما العموم المشبه به".[35]

نستنتج من كلام ابن حزم القاعدة التي تقول النكرة في سياق الاستفهام الإنكاري تفيد العموم، وحرف الجر من للتبعيض، وقد تأتي بمعنى قد، وذلك مع الفعل، كما في قوله تعالى:" هل أتى على الإنسان حين من الدهر،" الإنسان آية: 1،وبالغ الزمخشري حتى قال: "إنها أبدا بمعنى"قد"

وأن الاستفهام إنما هو مستفاد من همزة مقدمة معها، ونقله في "المفصل" عن سيبويه، وضعف ما قاله الزمخشري بأنه لو كان كما قال، لم تدخل إلا على "قد" وأما نص سيبويه فمذكور قد نص على خلافه عدة ما يكون عليه الكلام، فيؤول نصه".[36]

وكذلك في قول ابن حزم في تقديم الاستفهام الإنكاري "من" وهو الذي وضع تقريرا على علماء المالكية أن يجيبوا هذا السؤال الإنكاري وهنا النكرة في سياق الاستفهام الإنكاري نعم أيضا، لأنه في معنى النفي كما صرح به في العربية في باب الاستثناء، وفي وصف المبتدأ المستغني بمرفوعه، وفي غير ذلك قول الله تعالى:" هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا" سورة مريم آية: 98، وقوله: "هل تعلم له سميا" مريم آية: 65، فإن المراد نفي ذلك كله، لأن الإنكار هو حقيقة النفي".[37]

-الاستفهام التقريري:

يشرح ابن حزم الاستفهام التقريري، وهو الذي وقع تقريرا مثل ما حكاه في رسالته إلى علماء المالكية، ونجده أحيانا في صورة استفهام تقريري لا يطلب خبرا، وإن كان منطوقاً استفسارياً، ومن ثم فهو يعمد إلى إقرار الخبر على المخاطب حتى يعترف به اعتراف إثبات، عن طريق القلب أحيانا مثل من حرم علم المنطق، فيرد عليهم فيقول:" فكيف يستحلون أن يذموا ما لم يعرفوه؟ ألم يسمعوا قول الله تعالى: "بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تاويله"[38].[39]. إن هذا هو استفهام تقريري مبكت يعمد من خلاله ابن حزم إلى بيان فضائح الخصوم وقبح قولهم، وهم الذين يجادلون بغير علم عن المنطق، بسبب موقفهم المتصلب نحوها، لأنها كتب ترمي إلى الزندقة، والإلحاد وتغيير عقائد الناس بزعمهم.

وهكذا تسبب هذا الجدال مع علماء المالكية في العداء والخصومة مع ابن حزم، الذي يرى أن التحريم للمنطق بدون دراسة، أوقفه فهو يرى أن لكل علم فائدة ولابد من وجود الخير والشر في كل فن، لذلك لا نستغرب عندما ينعتهم بالجهل، لقصور الفهم الصحيح ممنيا النفس بحرف الشرط" لو عقلوا،.... لو علموا،.... إن التشارط بين جملة الشرط وجوابه المحذوف المقدر، ما كان لهم أن يسألوا مثل هذه الجهالات هذا الكلام يدل على انتفاء الأول العلم، لانتفاء الثاني التعقل، إنه

استدلال نحوي عن امتناع الأول، لامتناع الثاني، وهو استدلال منطقي، لأنه المقرر في المنطق الثاني أن الملزم والمقدر هو الشرط والازم الثاني هو الجزاء، ويستدل بانتفاء الثاني عن الأول".[40]

ومهما كانت طبيعة الاستدلال " فإن انتفاء العلم لازم لانتفاء التعقل، على مذهب اللغويين، وانتفاء التعقل لازم لانتفاء العلم على مذهب المناطقة، والاستفهام التقريري لا ينصب المضارع في جواب الاستفهام التقريري، ولكنه ينقل النفي إلى إثبات والإثبات إلى النفي".[41]

وفي قول ابن حزم في طريقة سرد الاستفهام التقريري لو علموا لو عقلوا.... في معنى يجعل تعانق الطرفين في الخطاب الاستفهامي مبكت للخصم بالتفاف أخره بأوله. والله أعلم بالمراد.

"وأما ما ذهب إليه السهيلي ومن تبعه في غاية الحسن، لأن من المعلوم أن الاستفهام التقريري والتوبيخ بمعنى أو في معنى النفي، وليس من أداوت النفي، والنفي إذا دخل على النفي صار إثباتا فينحل المعنى وذلك في مثل قوله تعالى:" ألست بربكم قالوا بلى" سورة الأعراف:172 ، مجيبين بالإثبات، فكلام السهلي متجه".[42]

ولأن الاستفهام التقريري حمل المخاطب على الإقرار بحكم الذي يعرفه من إثبات كما تقول:" ألا ترى" استدلال على اختصاصها بحسب الأصل بالفعل، والاستفهام التقرير بالرؤية، فهو في "ألم نشرح لك صدرك" سورة الشرح آية:1، لا يحمل المخاطب على الإقرار بما يلي الهمزة دائما، ويقول الصبان عن شيخه من حاشيته:" سيد الاستفهام الإنكاري أي إنكار نفي الرؤية قوله" كيف وجب" الجملة في محل نصب لسدها مسد مفعول ترى المتعلق بالاستفهام، وكيف في محل نصب على الحالية من فاعل على وجب، وقوله: في نحو "هل زيدا أكرمته" يرى سيبويه أن الفعل متى وجد في حيزها لا يجوز أن يليها لفظ اسم في الاختيار، ويكفي حينئذ أن يليها تقديرا فعل".[43]

المطلب الثالث: الاستفهام الإنشائي:

هناك أمثلة عديدة في الرسالة عدل فيها ابن حزم عن الاستفهام، إلى دلالات إنشائية أخرى، تثبت تمكنه من أفانين القول، وقدرته على تنويع السؤال الحجاجي، جامعا بين عبارات القول وعبارات الفعل، حسب القصد الذي يرى، والنتيجة التي يصل إليها.

"إن إمكانية العدول تتيح لابن حزم تعديلا في المواقف التواصلية حتى تلائم حال السامع، فما يقتضيه القول يختلف عما يقتضيه الفعل:.[44]، قبل الجواب، بعد سؤاله أمرا ونهيا ضمنيا، أو محذرا أو منبها، أو داعيا إلى حقيقة يراها.

"إن الانتقال من المعنى الأصلي إلى المعنى الفرعي، تمليه شروط الإجراء على الأصل فمعنى امتنع إجراء هذه المعاني على الأصل تولد منها ما يناسب المقام"[45]

ويتفرع الاستفهام الإنشائي الحزمي إلى ثلاثة أقسام:

1-الاستفهام بدلالة الأمر.

2-الاستفهام بدلالة التعجب والاستهزاء.

3-الاستفهام بدلالة النهي.

-**تعريف الاستفهام** من حيث صورته الإنشائية المقصود به حصول نفس العلم في الذهن، والحاصل المقصود بالصورة في تعريف الاستفهام، المعلوم في ذلك العلم من حيث ذاته، بطريقة التبعية، وفرق السكاكي في مفتاح العلوم "بفرق أخر بين الاستفهام والأمر وهو أن المقصود في الأمر حصول ما في الذهن في الخارج، والمقصود في الاستفهام حصول ما في الخارج في الذهن، وهو طلب حصول صورة الشيء الذي في الخارج في الذهن، وحينئذ فلا شمول وعبارته مفتوحة".[46]

1-الاستفهام بدلالة الأمر:

إن القرائن لإيراد المعنى الأصلي الاستفهام والمعنى المتفرع عنه، وهو الأمر الصريح، ومعنى المعنى الآمر غير الصريح، الذي يستخدمه ابن حزم مثل:" فهلا بينوا هذا الضمير إلى من يرجع؟... وهذه التواليف ما هي؟...."[47] وهذا استفهام بمعنى الطلب بشق وليس برفق، فقد خرج عن معنى الأمر ليبينوا، الدال على التحضيض والحث، والسبب لأنهم عابوا عليه، لأنه ضيع دواوين له وحدها، ولم يقتنع بدواوينهم ولا صوبها ولا رضيها، فما كان من ابن حزم إلا أن طلب منهم أن يبينوا على من يعود الضمير، ويحددوا المقصود بالتواليف.

والسبب في طلبه هذا لبعض فقهاء المالكية، لما استقر في علمه من كذبهم وبهتانهم، لعدم قدرتهم على قراءة تواليف أهل الإسلام أولها وأخرها حاشا المدونة والمستخرجة فقط، في حين جمع ابن حزم مختلف التواليف وعرضها على القرآن، وما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذ بما وافقها من أقوال وترك ما عداها، "ولعل القرائن الحالية هي الصادقة لإيراد المعنى الأصل، الاستفهام والمعنى المتفرع عنه الأمر الصريح، ومعنى المعنى الأمر غير الصريح، الذي

انصرف إلى دلالة التعجيز في قوله" وددت لو بينوا لنا عملاً يرد إلى عمل قضاتهم بالأندلس وإفريقية"[48] ليبينوا لنا وذلك في سياق رده على خصومه بعد أن اتهموه بأنه خالف مسائل كثيرة في الشريعة.

"وقد خرج الاستفهام إلى دلالة الطلب الأمر، المعلق بدلالة التهكيم والاستهزاء، لأنهم تركوا عمل الرسول صلى الله عليه وسلم وعمل صحابته الكرام، وانصرفوا إلى عمل قضاتهم الذين هم ليسوا أولى من إتباع سائر قضاة المسلمين، والمعنى يشير إلى التمني الذي يؤشر عليه الفعل" وودت" المصحوب بـ لو" .[49].

2-الاستفهام بدلالة التعجب والاستهزاء:

ينكر ابن حزم بالاستفهام على مخالفيه فيقول:" فيا ليت شعري من أين خرجت هذه الشريعة الجديدة؟ وأين قال الله تعالى، أو قال رسوله صلى الله عليه وسلم، إن من زاد في صلاته أقل من نصفها ساهيا صحت له؟ وإن من زاد فيها مثل نصفها ساهيا بطلت؟ وهل جاء بهذا قرآن أو سنة صحيحة أو سقيمة...؟ حاشا لله من هذا"[50].

إن الاستفهام فيه دلالات التهكم والاستهزاء، والتعجب من هذه الشريعة الجديدة بزعمه، واستعمل هل ليدل بها على أنه سائل عن أمر يريد أن يكون محققا، كأنه يرغب في حصوله، فيغريهم بإظهاره، حتى إذا عجزوا كان قطعا لما ذهبوا إليه، لأنه يعلم أن لا قبل لهم بحجة يرفدون بها دعواهم الضعيفة.

"فمن أشد استنقاصا للعلماء وكتب العلماء هم أم نحن؟ فهل في هذا خفاء على ذي بصيرة؟"[51]، واسم الإشارة هذا يشير إلى مخالفة خصوم ابن حزم لجميع العلماء وكتبهم، إذا قالوها وعابوها، عدا المدونة والمستخرجة، ولكنهم لا يكونون نفاذا للبصيرة، ليعرفوا ما هو الذي وضع من قيمة العلماء في كتبهم، وهم لم يطلعوها حتى يعيبوا ما فيها، وهنا مدعاة لإثارة السخرية والتهكم، ولكن لو عرف الناقص نقصه لكان كاملا"[52].

"إن تلك الأقوال اللغوية البليغة التي يسوقها ابن حزم لم تكن فقط مساعدة في نجاح الخطاب ودفع حجج الخصم فقط، بل اعتبرها حجة قائمة بذاتها".[53]

3-**الاستفهام بدلالة النهي:**

في قول ابن حزم في رسالته" رسالتان له أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال التعنيف" مخاطبا فقهاء المالكية ومعددا لهم مخالفاتهم في قوله:" فلم أجزتم الفعل المخالف للنبي صلى الله عليه وسلم، والأمر وفعله، وأنكرتم علينا فعلا فعله جماعة من الصحابة، ولم يصح النهي عن أحد منهم، ولا نهى عنه قط رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فهل هذا إلا أحموقة منهم وجهل وغباوة؟."[54]

والمعنى الحادث عن الدلالة الحرفية للاستفهام لا تجيزوا الفعل المخالف للنبي عليه الصلاة والسلام ولا تنكروا علينا ما فعله الصحابة إلا أن الدلالة الطارئة تتخطى الاستفهام المستلزم حواريا.

"وفي مضمرات الأمر يحضر التعجب الذي تفيده عبارة العجب كله، لأنهم أجازوا تنكيس الوضوء، وحجتهم في ذلك عدم ورود نص عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يجيزوا افتتاح الصلاة إلا بالله أكبر، فأي فرق بين النقلين؟ فجعلتم النقل الواحد حجة، والآخر غير حجة، فالمسالة مثار تعجب، ومن ثم فهو ينهاهم بصيغة الاستفهام التعجبي"[55].

هذه الحالات الثلاث في الاستفهام الإنشائي على أصله "فخرج إلى دلالة الإنشاء الطلبي (الأمر والنهي) أو الإنشاء غير الطلبي، إلى التهكم والاستهزاء وقد لاحظنا أن تلكم الأفعال اللغوية لم تكن فقط مساعدة في نجاح الخطاب ونجاعته بل اعتبرت حججا قائمة بذاتها".[56]

المبحث الثالث: العبارات التناظرية الثقيلة المتكررة عن ابن حزم:

-المطلب الأول: حجية أسلوب التوكيد:

أسند ابن حزم منطقه الحجاجي بلغة جبرية خطابية بأسلوب توكيدي، الذي من صيغة وأشكاله على التمثيل بـ (أن، إن، قد) والتأكيد بالقسم، والتأكيد المسند إليه، غير أن توظيف مصطلح التأكيد للإحاطة بالمخاطب، والتأكيد على التواصل بين المرسل والمرسل إليه بأسلوب مسؤول عن صحة ما يتلفظ به، ومن الأمثلة التقريرية ذات البعد اللغوي، التي استخدمها ابن حزم قوله لمن اتهمه بالقول والفتنة والجهل" فما نحن- ولله الحمد- إلا أيقاظا إذا استيقظنا، ونياما إذا نمنا، وأما الفتنة فقد أعاذنا الله منها، وله الشكر واصبا، لأننا لا نتعصب لواحد من الفقهاء على

الآخر، ولا نثبت إلى أحد العصمة، دون رسول الله صلى الله عليه وسلم... وهذه هي الحقائق التي يقطع كل مسلم على أنها الحق من عند الله عز وجل"[57]

ويضيف الأمثلة التوكيدية واثقا من اعتقاده"... ولكن قلة اشتغالك بالقرآن، أن هذه الصورة عندهم لا عندنا، لكن نوضح- إن شاء الله تعالى- ببرهان لا إشكال فيه، أن رأيهم كله عندهم في تعصب، ولكن الله تعالى علمنا من فضله..."[58]

- أولا الاحتجاج بأدوات التوكيد "إن":

استعمل ابن حزم في مناظراته أداة التوكيد" إن"، وجعلته متأكدا من كلامه أنه يمتلك الحقيقة، وهي أن كل اعتقاد مخالف لهذا الكلام باطل بلا شك، وبهذه المقالات التي يكثر فيها من أدوات التوكيد قد حصلت له جفوة وعداوة من خصومه، لأنه لم يكن متساهلا ولا مترددا معهم، بل كان يصك خصمه صك الجندل، وكان عنيدا لا يرى الحق إلا ما اعتقده فقط، وغاب عن ذهنه أن تحصيل الحق متفاوت في الإنسانية عموما، يرتكز على مبدأ الاحتمال والاختيار، وهذا الترجيح يتطلب إعمال الفكر وتقليب النظر، ولا شك أن في نظر الواحد في هذا المقام هو دون نظر الجموع، فيكون الأولى به أن يناظر ويحاور، ويغير اعتقاده في هذا الشأن".[59]

- ثانيا الحجاج بأدوات الشرط "إن- لو":

وظف ابن حزم حرف "إن" من الناحية الخطابية ضد خصومه، حتى جعلهم لا يقولون قولا على قوله، ثم وظف "لو" حتى يسقط الشرط في ألا ممكن، وقولهم يكون مستحيلا، فعندما يقول ابن حزم مثلا:" فلو اتقى الله تعالى هؤلاء القوم، لم يتكلموا فيما لا يحسنون"[60] تظهر القيمة الحجاجية "لو" حينما يمتنع الأول لامتناع الثاني.

وبهذا يحصل اتقاء الله غير ممكن، لاستحاله حصوله عندهم، وإلا لربطت الجملتان برابط إن، التي تأتي عند إمكانية الحصول، وبهذا يكون الجواب أنهم يتكلمون فيما لا يحسنونه، وهكذا في علم المنطق، امتناع الثاني عدم التكلم فيما لا تحسن، لازم وحاصل بامتناع الأول، لو اتقوا الله.

التركيب الشرطي هذا هو تركيب بين قول وحجة، أن تأتي إن بدل لو، هو توقع والجزم بقوة الوقوع،" فإن قلتم.... قيل لكم"، مما يجعل الحكم ب "إن" حتمي الوقوع، ويصبح كلام ابن حزم جواباً حتمياً لفعل الشرط الصادر من خطاب الخصم القائل الأول.

وأدوات الشرط منها ما يؤكد الجمل، ومنها ما يؤكد الفعل، ومنها ما يؤكد المفردات، وجملة حروف التوكيد "إن وأن"، ونون التوكيد واللام "، من أدوات التوكيد التي تؤكد بها الجمل، مثل قوله تعالى: "والعصر إن الإنسان لفي خسر" سورة العصر آية: 2.1، "إن الله بالناس لرؤوف رحيم" سورة البقرة آية: 143.

هذه الآيات الكريمة تؤكد مضمون ما بعدها من جمل اسمية، دخلت عليها إن فأكدتها، فاستخدم بها أسلوب التوكيد وكذلك أن الفرق بينهما هو أن "إن" تقع في بداية القول، أو ما يحل محله، أما" أن" فتقع موقع المفرد الذي يؤول بمصدر، بمعنى أنها لا يؤتى بها أول الكلام، وإنما تكون وسطا".[61]

المطلب الثاني :القيم اللغوية لأدوات التوكيد "أن–إن–قد":

نجد في رسالة ابن حزم استعماله لأدوات التوكيد كثيرة جدا، فهي وسائل نحوية مثل "أن–إن–قد" يبدأ بها كلامه عند الجواب في مسألة ما، حتى أصبحت عادة عنده، والجواب، وبالله تعالى التوفيق:–إن–أن–قد–إننا–أننا...." حتى يقرر الحقيقة معه في نفوس السامعين، ويضمن الغلبة على مخالفيه المتناظرين معه، ولذلك اعتبرت إن أوكد من اللام ولفظها وثقلها يوحى بذلك. وهي قرينة الشبه بنون التوكيد الثقيلة التي تؤكد الفعل غير أنها مسبوقة بالهمزة"[62]

وهكذا يستمر ابن حزم إصابة الغلبة في الحجاج من خلال ممارسة سلطة اللغة التوكيدية، ليتجاوز بها من الوظيفة النحوية إلى الوظيفة الحجاجية بطريقة تداولية منطقية، تحير معها الإفهام وتنزلق معها المشاعر.

"وهكذا فإن التأكيد بأن المشددة آكد من التأكيد بأن المخففة ونحو "لكن" فإنها مع التضعيف آكد منها مع التخفيف، فحصل جميع ما ذكرناه أن المبالغة في الألفاظ إنما تكون تبعا للبلاغة في المعنى، فلا جرم تكترث الألفاظ لأجل ذلك"[63].

إن استقراء لغة العرب ستجدها مشحونة بأدوات التوكيد وله فوائد تعرف من تتبع خواص تراكيب الكلام، وأدناها بعد احتمال المجاز أو نفيه، فإنك إن قلت: إذا قام زيد، احتمال أن تريد غلامه مجازا فإذا قلت نفسه، فإن لم يقتض ذلك انتفاء احتمال المجاز، فلا أقل من اقتضائه

ضرورة هذا الاحتمال مرجوحا ضعيفا، ولذلك لم تجد بدا من التأكيد بأن فتقول: إن زيدا قائم، فإذا توهمت منه نكيرا لم تلف غنى عن الزيادة اللام فتقول: إن زيدا لقائم.

ويقول العز بن عبد السلام :" إنه قال اتفق الأدباء على أن التأكيد في لسان العرب إذا وقع بالتكرار لا يزيد عن ثلاث مرات قال وأما في قوله تعالى:(ويل يومئذ للمكذبين) سورة المرسلات أية: 28، في جميع السورة فهذا ليس تأكيد بل كل آية قيل فيها".[64]

خاتمة

نستنبط من خلال مباحث هذا المقال عن لغة مناظرات ابن حزم، التي درسنا فيها بعض الأدوات اللغوية التي استخدمها في المناظرة مع خصومه، نخلص إلى النتائج الآتية:

_ وجود الضمير بشكل متفاوت، متنوع شامل، جامع ومانع، سواء تعلق الأمر بالمقدمة أو النماذج الأربعة، وحسن استعماله لأدوات اللغة لتقرب المعنى وتوصل الفكرة.

_ حسن اختيار أدوات الربط الاستفهامية التي غلب بها علي خصومه، واختيار الأبين والمشهور منها، وشغله بالاحتجاج بالتراكيب الاستفهامية، بين النفي والإثبات لهو دليل قاطع على طول باعه في اللغة وحسن اختياراته في المناظرة، هو سبب لغلبته دائما، فإن بلاغة الاستفهام المستلزم حواريا من كل أدوات الاستفهام المختلفة، مما رجح الكفة عنده.

_ كثرة استعماله لأدوات التوكيد من "إن، ولو، وقد، وأن"، اللغوية جعلت الغلبة عليه غير ممكنة، ونصرته في كل محفل مناظرة.

_ كذلك حسن استعماله لضمير المتكلم حاضر أما بشكل مفرد أو جمع، ذلك أن ابن حزم تارة يخص نفسه بالضمير "أنا" كضمير منفصل "أنا منهم" أو التاء كضمير متصل دال على الفاعل "علمت/ عرفت" أو ياء المتكلم "أخبرني /حدثني" أو الضمير المستتر أعلم/ أعرف"، ولكن تبقى الملاحظة الواردة تركيزه على الضمير المتكلم أجمع خاصة "نا" كضمير متصل دال على الفاعلين، وهو إذ يعتبر ضميرا ملتبسا فإنه يحتمل أكثر من تأويل، فحين يقول ابن حزم مثلا: اخبرنا/ حدثنا/ روى لنا/ عملنا.....فنحن لا نعرف تحديدا عدد الأشخاص الذين يحيل عليهم، هل يخص "نا" نفسه وصديقه أم نفسه والعلماء الآخرين أم أنه يقصد بها نفسه وحده دون غيره أخبار قد تعنيه لوحده دون غيره، فيقول "دعني أخبرك أني ما رويت من ماء الوصل ولا زادني إلا ظمأ "

ونلاحظ في استعمال ابن حزم لأسلوب الاستفهام وأدواته الحجاجية الفعالة من استفهام إنكاري إلى تقريري ثم استفهام بالنفي ومرة بدلالة الأمر، وحسن استعماله أدوات التوكيد لتقوية حجته أمام خصمه في المناظرة، دليل على قوة اللغة عنده، ويصف ابن حزم حاله وهو في أحلك الظروف .

لقد عبر ابن حزم عن نفسه بالضمير المتكلم المفرد "لم أجد" إلا أنه قد عدل عنه إلى متكلم الجمع "قلنا" فكأنه يريد أن يوضح للمتلقي أن ما ذهب إليه " لم يكن رأيه وحده وإنما قد يشاركه آخرون الرأي نفسه، لذلك استعمل ضمير الجمع للمتكلم مبينا أن قوله هو قول الآخرين من العلماء السالفين أيضا.

الهوامش والمراجع

[1]-ابن حزم :رسالة التقريب لحد المنطق، ضمن مجموع رسائل ابن حزم،تحقيق: إحسان عباس،المؤسسة العربية للدراسات،بيروت،2007،ج4، ص: 314.
[2]-ابن حزم التقريب لحد المنطق ص: 538.
[3]- طه عبدالرحمان : تجديد المنهج في تقويم التراث،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء المغرب،ط1، ص: 339.
[4]-المنطق عند الفارابي، تحقيق رفيق العجم، ط 1 بيروت: دار المشرق، 1985. ج2 ص: 68.
[5]- أبوحيان التوحيدي :الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين،دار مكتبة الحياة، بيروت،ج 1، ص: 121.
[6]-ابن حزم: رسالة التقريب لحد المنطقج4، ص:320.
[7]- ابن حزم ومنطق أرسطو"،سالم يفوت، ضمن" أعمال ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية" الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1980، رقم السلسلة 7 ص: 301.
[8]-ابن حزم رسالة التقريب لحد المنطق ج4، ص: 432.
[9]- المرجع نفسه،ج4، ص: 483.
[10]-قاعدة تداولية: دع ما من شأنه أن يلبس أو يغمض المنقول إلى ما يألفه أو يأنس به المتلقي في لسانه وتداوله بتصرف.
[11]- المعنى أولى من اللفظ، لكن المعنى يتوقف على تثقيف أو استيقان بتصرف.
[12]- ابن حزم التقريب لحد المنطق،ج4، ص: 511.
[13]-المرجع نفسه ص 570.
[14]-المرجع نفسه ص 571.
[15]-أبو علي القالي أمالي القالي. ترتيب محمد عبد الجواد،دار الكتاب المصرية،القاهرة، ج 2، ص: 13.
[16]-عبد القاهر الجرجاني (تـ 471 هـ) درج الدرر في تفسير الآي والسور، تح: طلعت صلاح. دار الفكر- عمان- الأردن، ط1. 2009م. ج 2 . ص: 36.
[17]-المصدر نفسه، ج 2، ص: 36.
[18] عثمان بن عمر الدين ابن الحاجب، أمالي ابن الحاجب، تح: فخر صالح قدارة دار عمار- الادرن. 1989م ج 1، ص: 43.
[19]الزركشي: البرهان من علوم القران، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث ج 2، ص: 327.
[20] عبد الله صولى: الحجاج في القرآن، منشورات كلية الآداب منوبة تونس، ص: 425. 427.
[21]سورة الأحقاف- الآية: 34.

[22]ابن حزم- رسائل ابن حزم :رسالتان أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال التعنيف،ج3، ص، 74-75.
[23] المرجع نفسه ص 74.
[24]أبو الفضل بكر بن محمد القشيري البصري (تـ 344هـ)، أحكام القرآن وأصوله، ت: سلمان الصمدي: الناشر جائز دبي للقران الكريم، ط1، 2016-ج 1، ص: 45.
[25]- أبو على القالي (تـ356هـ) أمالي القالي: ترتيب: محمد عبد الجواد، دار الكتب المصرية ط 2. 1926م، ج 2 ص: 13.
[26]-أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية، مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية منشورات عكاظ. 1993. جدة السعودية، ص: 102.
[27]-طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد على الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ص: 43-44.
[28]-ابن حزم، رسالتان له أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال التعنيف ص: 80.
[29]-المرجع نفسه ص 80.
[30]عثمان بن عمر جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي، تح: فخر صالح قدارة، دار عمار، الأردن ج 1، ص: 279.
[31]محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن القيم الجوزية (تـ 751هـ) طريق الهجرتين وباب السعادتين دار النشر دار السلفية القاهرة، مصر ط2. 1994م. ص: 371.
[32]-ابن حزم- رسالتنا أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال التعنيف، ص: 109
[33]-المرجع نفسه ص 104.
[34]- ابن حزم المحلى بالأثر، تحقيق محمد منير الدمشقي، دار الطباعة المنيرية، مصر،ج 2، ص45 .
[35]ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقلي الهمداني المصري (ت 769ه) شرح ابن عقيل على الفية بن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث. القاهرة. دار مصر للطباعة، ط 20، 1980 ج 1. ص: 217
[36]البرماوي شمس الدين عبد الدائم. ت 831ه الفوائد النسبية في شرح الالفية تح: عبد الله رمضان موسى، مكتبة التوعية الإسلامية للنشر، الجيزة. جمهورية مصر ط 1. 2015م. ج3. ص: 157.
[37]المصدر نفسه ج 3 ص 409.
[38]-سورة يونس الآية 39.
[39]-ابن حزم رسالتان أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال التعنيف، ص: 86.
[40]-شكري المبحوت: تحليل حجاجي لظاهرة بديعية ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف :حمادي صمود، كلية الآدب منوبة تونس، د ط د ت، ص: 158.
[41]-ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلى(تـ392هـ)، المخصص، الناشر الهيئة المصرية للكتاب، ط4. 1431ه. ج 2. ص :511.
[42]-عقيله: محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي، شمس الدين المعروف كوالده بعقيلة تـ1150ه، الزيادة والاحسان في علوم القرآن و تح: مجموعة من الباحثين، الناشر مركز الدراسات جامعة الشارقة الإمارات، ط 14271 ه،ج 8، ص: 81.
[43]-الصبان أبو العرفان محمد حاشية الصبان على شرح الاشموني الالفية ابن مالك دار الكتب. بيروت. لبنان. ط1. 1997. ج1. ص: 65.
[44]- الفرابي كتاب الحروف ت: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت لبنان، ط2. 1990ص: 56.
[45]-يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه: نعيم زرزور، دار العلم،مصر،ط1. 1996. ص: 304.
[46]- الدسوقي محمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتزاني (تـ792ه). تح. عبد الحميد نداوي. المكتبة العصرية، بيروت ط1. 1440م. ج 2. ص: 321.
[47]- ابن حزم. رسالتان له أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيها سؤال التعنيف ص: 89.
[48]- المرجع نفسه ص: 103.
[49]-مصطفى للعطار، لغة التخاطب الحجاجي دراسة في آليات التناظر، دار كنوز المعرفة، عمان الأدرن، ص، 221.

[50]- ابن حزم، رسالتان له أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال التعنيف ص، 106.
[51]-ابن حزم رسالتان أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال التعنيف ص: 105.
[52]-المرجع نفسه ص: 91.
[53]-مصطفى العطار، لغة التخاطب الحجاجي، ص: 222.
[54]- ابن حزم رسالتان أجاب فيهما عن رسالتين سئل فهي سؤال التعنيف، ص: 109.
[55]- المرجع نفسه، ص: 104.
[56]- مصطفى العطار، لغة التخاطب الحجاجي، ص: 222.273.
[57]-ابن حزم، رسائل اب حزم، رسالة في الرد على الهاتف من بعد، ص 120.
[58]-المرجع نفسه- ص 119-124.
[59]-الراضي رشيد، الحوار والمغالطة، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان،- ص 81.
[60]-ابن حزم، رسالتان أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال التعنيف، ص :74
[61]الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية 1433-ص: 171.
[62]- صالح السامرائي، معاني النحو، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة ج 1، ص: 263-264.
[63]- يحيى بن حمزة الحسني العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (تـ 745هـ) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم الحقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، ط1. 1432ه ج2. ص: 88.
[64]- السبكي: تقي الدين الإبهاج في شرح المنهاج. منشورات جامعة ام القرى مكة المكرمة السعودية ج 1. ص: 247.